إلى أصول غيبية ، فحيث ينعدم التفكير العلمى ويقصر المنطق يتقدم التفسير الغيبى لما هو ليس بمعقول ، لكى يقوى به عزم الأتباع ، وتؤصل بواسطته الرغبة والإرادة فى إنشاء وطن قومى . ولسنا نجد شبيها لذلك إلا فى **الحركة الفاشية أو النازية** ، عندما تستند على دعوى بالتفوق العنصرى ، أو بالاختيار من لدن اللّه ، أو بحمل أعباء رسالة تنفرد بها عن بقية شعوب العالم .

❄ ❄ ❄

فلماذا سُمّى اليهود بالساميين !

الساميّة نسبة إلى سام . وسام كما تدّعى التوراة هو الابن الأكبر لنوح ، وكان سام أول إنسان يباركه اللّه بعد طرد آدم من الجنة . وتدعى التوراة أن اللّه اختاره دون إخوته لهذه البركة ، **وكانت هذه الفرية أول فرية عنصرية** ، وتروى لها التوراة قصة وأى قصة !

تروى أن نوحاً كان له ثلاثة أولاد ، هم **سام وحام ويافث** ، فلما انتهى الطوفان واستقر نوح على اليابسة « ابتدأ فلاحا وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه ، فأبصر حام ، أبو كنعان ، عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجا ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء ، وسترا عورة أبيهما . فلما

استيقظ نوح من الخمر علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لإخوته . وقال مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهم . ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً لهم » (سفر التكوين ص ١٥) .

ويتحدث سفر التكوين عن الكنعانيين وهو بمعرض التحدث عن أصل العالم ، مع أن الكنعانيين لم يكونوا قد ظهروا فى التاريخ بعد ، ولكن ما العمل والتوراة كتبها الحاخامات بعد ألف سنة من زمن موسى ، وفى خلال هذه الألف سنة عرف اليهود المعارك والحروب مع الكنعانيين فكرهوهم ولم يجدوا بأساً أن ينفثوا عن كراهيتهم للكنعانيين منذ أول الخليقة ، وأن يستعلوا عليهم ، ناسبين هذا الاستعلاء لله عز وجل ولنوح عليه السلام ! ويدّعى اليهود أن الأمم جميعها خرجت من حام ويافث . أى خلط علمى !! وأن اليهود من نسل سام ، ومن هنا جاءت تسميتهم **بالساميين** ، وجاء تسمية العداء لهم **بالعداء للسامية** .

وتزعم التوراة أن سام بن نوح أنجب من الأحفاد يقطان ، وأن يقطان أبو العرب ، وأنجب إبرام أو إبراهيم ، وأن إبراهيم أنجب إسماعيل ثم إسحق ، وأن الله افتدى إسحق بكبش سمين ، أى أنها تزعم أن الفداء كان لإسحق الأصغر ، لأن أم إسحق كانت عبرانية لكن أم إسماعيل كانت من الأمم . وتقع التوراة فى التناقض ، فهى إذ

تدعى أن اللّه قال لإبراهيم إذهب من أرضك إلى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة وأبارك وأعظّم اسمك ، وتكون بركة وأبارك مباركيك ، ولاعنك ألعنه ، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض (سفر التكوين ص ٢٣) ، مع ذلك تعود وتقصر البركة على بنى إسرائيل لا غير ، دون العرب أبناء إسماعيل الذين قُصِدوا بالبركة وبالبشارة بأنهم أمة عظيمة !!

وينجب إسحق يعقوب ، وتدعى التوراة أن اللّه يخاطبه فيقول « إسمك يعقوب ، ولا يُدعَى أسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك إسرائيل ، فدعى اسمه إسرائيل » (سفر التكوين ص ٥٨) .

وإسرائيل إسم أعجمى عبرى مركب من كلمتين إسرى بمعنى عبد ، وئيل بمعنى اللّه ، فتكون ترجمته عبد اللّه . ومن هنا يأتى اسمهم بالإسرائيليين أى أبناء إسرائيل ، وتدّعى التوراة أن إسرائيل أنجب أثنى عشر سبطا ، وأن يشوع بن نون قسّم الأرض عليهم ، وكان منهم من يُدعَى يهودا ، ومن أسباطه خرج من أقام مملكة يهودا التى سيطرت على كل شعب إسرائيل ، ومن ثم أصبح سكانها يُدْعَون اليهود ، مثلما يسمى سكان مصر بالمصريين . **وهذا هو أصل تسميتهم باليهود**

* * *

أما إسمهم **العبرانيون** ، فهو من فعل عَبَر العبرى والعربى . ويدّعِى سفر يشوع « أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا موسى عبدى قد مات ، فالآن قم " **اعبر** " هذا الأردن ، أنت وكل هذا الشعب ، إلى الأرض التى أنا معطيها لهم ... وقال لهم يشوع " **اعبروا** " أمام تابوت الرب ..لكى تكون هذه علامة فى وسطكم ، إذا سأل غداً بنوكم مالكم وهذه الحجارة ، تقولون لهم إن مياه الأردن قد انفلقت أمام تابوت عهد الرب عند " **عبوره** " الأردن ... على اليابسة عبر إسرائيل هذا الأردن ، لأن الرب إلهكم قد يبّس مياه الأردن من أمامكم ، حتى " **عبرتم** " ، كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذى يبّسه من أمامنا حتى " **عبرنا** " » (سفر يشوع الإصحاح الرابع ص ٣٤٢) .

فالأصل اللغوى للعبرانيين فعل " **عبر** " ، وهو فى اللغة العربية كما فى اللغة العبرية . والعبرية لغة **العبرانيين** ، وهذا هو **العبور** آية اليهود التى تميزهم على الأمم ، فالرب فى زعمهم قد أمكنهم من **العبور** مرتين ، فى مصر عبر بحر سوف ، وفى الأردن عبر نهره ، ويقال إن هناك مرة ثالثة فى العراق حيث **عبره** إبراهيم إلى فلسطين .

ويرى مارتن بوبر[1] ، الفليسوف اليهودى ، أن الأصل اللغوى لكلمة " عبرانى " هو كلمة عابيرو habiru التى صارت فيما بعد hebrew ، وهابيرو أو عابيرو معناها الشخص الرحّالة المتجول غير المستقر . وقبائل إسرائيل كانت قبائل رحّالة ، وكان إبراهيم دائم التنقل ، وكذلك إسحق ويعقوب ، وقد ارتحل يعقوب وبنوه إلى مصر . ويرى بوبر أن الارتحال يخلق المقاتل ، وأن الإسرائيليين كانوا مقاتلين ، ويضرب المثل بسفر التثنية حيث يقول الرب ، كما تزعم التوراة ، « أنتم أولاد الرب إلهكم ، لأنك شعب مقدس للرب إلهك ، وقد اختارك الرب كى تكون له شعباً خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » (الإصحاح الرابع عشر) !!

هل هذا معقول ؟ أنا لا أصدق ما أقرأ ، ولا أصدق أن هذا البوبر العنصرى الغيبى المستشهد بكلام حبر كاهن ، حاول أن يكون من

---

(١) مارتن بوبر فليسوف يهودى ولد وعاش فى ألمانيا ، ثم فر أمام النازى إلى بريطانيا ، فالولايات المتحدة واستقر أخيرا فى إسرائيل يدرّس فى الجامعة العبرية بالقدس ، وهو من المؤسسين للحركة الصهيونية ، وكان من أنصار وايزمن ضد هرتزل ، ومات فى إسرائيل سنة ١٩٦٥ ويشتهر بوبر بكتاباته فى التربية اليهودية ، وحاولت دور النشر جعله من المفكرين الوجوديين المحدثين لأنه القائل أن وجود الأنا يستتبع وجود الأنت ، فإذا اعترف الأنا بالأنت قام بين الاثنين حوار هو روح الديموقراطية دليل المساواة . (الحفنى) .

كبار المفكرين والفلاسفة وأن يتبوأ مكاناً فى الفكر الإنسانى المعاصر إلى جانب سارتر وهايدجر وكيركجورد !!!

* * *

إننا ننحنى احتراماً لأسماء كبيرة فى الأدب والفلسفة ، لأن أصحابها قدّوا بعقولهم طريقاً لهم فى جبال الفكر وكانت لهم نظرات وأفكار . هؤلاء الناس يصيرون مرجعيين ، أى أننا نرجع إليهم ونستشهد بأقوالهم . لكن ماذا لو كان الواحد من هؤلاء مخطئاً ؟ ماذا لو كان هو نفسه ضحية الدعاية ؟ لا أدرى ، وإنما يجب ونحن نقرأ أن نحاذر ، وأن نعرف أولا لمن نقرأ ، ونلم بأطراف حياة الكاتب ، ونعرف شيئاً عن دار النشر التى تنشر له ... أقول إن هذا ضرورى دائما .

ويل ديورانت [1] من هؤلاء المرجعيين . وهو فليسوف و مؤرخ فلسفة ، كتب **تاريخ الحضارة** فى سبعة مجلدات ، وأفرد لليهود جزءاً لا يتناسب مع إسهامهم الحضارى ، لأن ما يكتب عن شعب بالمقارنة لما يكتب عن شعب آخر ينبغى أن يتناسب مع إسهام الشعبين

---

(١) ويل ديورانت : ولد عام ١٨٨٥ من أبوين كنديين ، وتلقى العلم فى أمريكا ، وعاش بها ، ودرس على يد مورجان وديوى وحصل على الدكتوراه عام ١٩١٧ واشتغل بالتدريس وطاف العالم وكتب قصة الفلسفة ، وقصة الحضارة . (الحفنى) .

فى الحضارة . فهل من المعقول أن يكون إسهام اليهود أكبر من إسهام العرب ؟ شئ غريب هذا الذى أقرأه فى موسوعته ، والأغرب أنه يستشهد بمراجع أصحابها يهود ، كأنه يروى حكاية ويستشهد بأن قائلها فلان ، لكن بمن يستشهد قائلها ؟ مع ذلك فديورانت تُرجم إلى العربية ، وأشرفت جامعة الدول العربية علي ترجمته ، ولم ينبر المترجم للرد على ديورانت !

ويتساءل ديورانت : لماذا العداء بين اليهود والشعوب ؟

ويقول « إن المصادر الرئيسية للعداء كانت دائماً مصادر اقتصادية [1] ، ولكن الخلافات الدينية بين اليهود وغير اليهود زادت حدة الخلافات الاقتصادية ، وجعلتها مجرد غطاء لها ، والمسلمون لم يكرهوا اليهود فى يثرب إلا عندما شككوا فى نبوة محمد ، والمسيحيون يرددون كل أحد قصة صلب اليهود للمسيح وهومنهم » .

وتقول التوراة : إن العداء لليهود كان فى مصر القديمة لأن اليهود كانوا أعظم من المصريين . « هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلم نحتال لهم لئلا ينمو ، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون فى الأرض » (سفر الخروج الإصحاح الأول) .

قول غريب عزيزى القارئ ! فالتاريخ المصرى لم يعرف اليهود كشعب

(١) Vol 4 : The Age of Faith, P. 385 .

أعظم وأكثر من المصريين ، وإنما عرفهم المصريون عبيداً أرقاء ، وتحدثنا لوحة « مرنتباح » أن المصريين قضوا على الإسرائيلين . هذا هو كل ما ورد عن الإسرائيلين في الآثار المصرية . ذِكْر عابر ولا شئ غير ذلك .

* * *

ويصف القرآن النبى **إبراهيم** أعظم وصف ، فهو فيه باحث عن الحقيقة بالمصطلح الفلسفى . وهو يبدأ « مفكراً » مادياً وينتهى إلى التجريد . وتنسجم كل القصص عنه فى القرآن لتصوغه شخصية متكاملة يطحنها التفكير الدينى . ولكن التوراة على عكس تصوير القرآن تجعله رجل دولة ، وتشكّل الأنبياء من **إسحق ويعقوب ويوسف** ، بل **وموسى** ، كرجال دولة وأبطال قوميين .

وكلمة **نبى** بالعبرية تعنى شيئاً مختلفاً عما تعنيه الكلمة العربية ، فالنبى بالعربية تعنى الإنسان الكامل ، أو ما نسميه في علم التربية « القدوة » ، ولكن النبى بالعبرية تعنى شخصاً قد تغلب عليه الرذائل ، ولكن فضيلته الوحيدة أنه يقدم لقومه « خدمة » ، فالنبوة عند الإسرائيليين تعنى : الشعور بالقومية والانتماء القومى . هكذا كان داود وسليمان وكل الأنبياء . وهذه الحقيقة عبّر عنها **هـ . ج . ويلز** فقال : إن أنبياء إسرائيل كانوا ساسة وليسوا أنبياء بمعنى أصحاب رسالات وبشارات سماوية لخلاص الإنسان بعامة . وأسفار الأنبياء

أسفار رجال دولة يحتالون لخلاص إسرائيل وإعادة بنائها وبناء الهيكل .

وحول هذه المعنى نفسه اختلف العرب واليهود فى يثرب ، فالمفهوم الإسلامى للنبوة يصطدم بشكل حاد مع المفهوم المادى لها فى اليهودية . وثمة هذا السؤال : **لماذا رفض اليهود المسيح** ؟ والجواب : لأنه خرج برسالته إلى الغوييم أى عامة الأمم . وفهم شاول الملقّب ببولس الرسول هذا القصور فى اليهودية ، فخرج برسالة المسيح إلى الأمم . وجاء محمد ليبشر الأمم كافة . واليهود ترفض الغوييم أو الأمم ، وترفض هذا المعنى للنبوة .

واليهودى بمصطلح التحليل النفسى إنسان متمركز حول ذاته ، يرى أن اللّه لم يخلق سواه فى الدنيا ، وأنه ملْح الأرض ، وأن اللّه أسلم له الأمم عبيداً ، ولذلك يتهافت منطق **مارتن بوبر** ويتناقض مع التوراة حينما يقول بفلسفة الأنا – والأنت ، فالأنا والأنت لا تعرف تفوق أيهما ، ولكنها علاقة سيكولوچية مستقرة المجال ، أى متعادلة الأقطاب ، الأمر المتناقض مع أقوال التوراة عن اليهودى .

ويصف ديجول اليهود (خطاب ٢٧ / ١١ / ١٩٦٧) فيقول « لقد دللوا على أنهم كانوا دائماً طبقة تريد السيطرة ، وتريد أن تظهر بوصفها الطبقة المختارة . إن إسرائيل تريد التوسع بالحرب » . إذن

هذه فلسفة لا أنا وأنت . هذه **فلسفة أنا** فقط . فلسفة التمركز حول الذات . فلسفة أنا غير متطور قد توقف نموه وثبت ، **فاليهودى فردى صاحب اتجاهات عملية ، وهذه الاتجاهات والميول المادية العملية هى التى يبرزها كارل ماركس فى رؤياه عن اليهودى** .

ويشتهر اليهود عبر التاريخ بأنهم أهل مكر وخداع ، وتتكرر حكاية **وعد بلفور** عبر كل تاريخهم ، فيروى أنهم احتالوا على **كورش** وساعدوه على بابل مقابل أن يساعدهم فيعودوا إلى أورشليم ، وتروى التوراة أن كورش أعطى عزرا « خطاب سلطة ، وأعطاه فضة وذهباً تبرع به الملك ومشيروه لإله إسرائيل الذى فى أورشليم مسكنه » (سفر عزراً الإصحاح السابع) .

وكأن ما حدث بالأمس البعيد بين **عزرا وكورش** ، هو ما حدث بالأمس القريب بين **وايزمن وبلفور** ، وبين **إينشتين وترومان** : فلقد ساعد اليهود الحلفاء على ألمانيا ، فوطّن الإنجليز اليهود فى فلسطين ؛ وساعد اليهود الأمريكيين على المحور ، فكان ترومان أول المعترفين بدولتهم .

وسرق اليهود أسرار القنبلة الذرية ، محتالين لدخول فلسطين ، وكان أوتوهان Otto Hahn قد توصل إلى شطر الذرة فى معهد

القيصر فيلهلم فى برلين ، وكانت **ليز ميتز** مساعدته ، ولم يكن أحد يعرف أنها يهودية وأنها جاسوسة للحلفاء على أهم معامل النازى إطلاقاً ، وفى اليوم الذى توصل فيه هان إلى اكتشافه سرقت مساعدته اليهودية ميتز كل أوراقه وفرّت إلى السويد ، ثم إلى الولايات المتحدة . (**كتاب ألبرت إينشتين لمؤلفه أرثر بيكار ص ١٢٠ طبعة** Bard) .

وكان سعى **وايزمن** للحصول على الوعد المذكور مقابل التجسس على الألمان ، واستحضار أحد المركبات الكيماوية اللازمة للحلفاء ، ومقابل سعى إينشتين ومجموعته للحصول على أسرار الذرة مقابل دعم إسرائيل والاعتراف بها .

* * *

ويصك اليهودى مصطلح « **المواطن العالمى** » ، لأنه لا ينتمى إلى وطن ، ولأنه تاجر ، والتجارة وسيلة عالمية لا تعرف الوطنية ولا الحدود . ولكى يظل اليهودى تاجراً صاغ مصطلح المواطن العالمى ، وليدعم هذا المفهوم امتهن الفلسفة ، وعن طريق التجارة فى وسائل النشر والإعلام نشر مفاهيمه التى تبدو تحريرية ليبرالية ، ولكنها فى الواقع مفاهيم عملية هدفها : دعمه كتاجر ، والتجارة سيطرة اقتصادية : وتقتضى السيطرة على التطورات الاجتماعية والسياسة . وإذن ليس